جـــــدار

ضمّنا المقهى الأنيقْ .. نجلس متحلقين، مقبلين على الحياة، تجري بعروقنا حيوية الشباب. نتلاقف عناوين الصحف البراقة؛ نشيّد جدارا من الأمنيات الوردية السعيدة، ونفتح نوافذنا للريح علّها تأتي بآمال جديدة. « البطالة تـلاشت. « قضي تماما على الفقر. « « تبخرت طوابير الخبز.» «بناء آلاف الوحدات السكنية.» « سيعيش السكان في رغد. «

الجدار الذي نبنيه يعلو.. يعلو..

كانت النارجيلة بيننا تتضاحك مقرقرة، ننفث دخانها فيتقاطع في دوائر ثم لا يلبث أن يتلاشى تاركاً متعةً وخدْرا لمشاعرنا.. لم يعكر صفونا سواه؛ حين ألقاه الشارع المزدحم المتلاطم واقتحم المكان. ارتمى على أقرب مقعد، نظر إلينا وقال :

. كنت آخر الواقفين بطابور الخبز ياسادة ومد يديه، كانتا خاليتي الوفاض. اندهشنا وتركنا الجرائد جانبا..ارتفع صوت الصخب والضجيج، كانت ساعة الحائط تشير إلى العاشرة صباحا. نرمق قلقين محطة القطارات الواقعة أمامنا. خرجت أصوات من بيننا :

. سنكون في قبضة الفراغ الوحشية إن لم نجد العمل.

. صديق عزيز يبدو أنه بعيد المنال.

. ما أجمل العثور عليه.!

يمرّ شحاذ بالي الثياب في عفوية يمدّ يده للناس ويجرجر براءة أطفاله وراءه . أبعدناه وأطفاله خوفا عليه من جدارنا الآخذ حينها في التصدع وأسرعنا نلحق بالقطار، ولم نكد نخطو حتى انهار الجدار علينا.